

استياء اجتماعي مصري بعد وفاة طفلة تحت تعذيب جدتها

عدم تفعيل القانون يشجع على العنف الأسري ضد الصغار



تعاني أسر عربية من الخلط بين تأديب الطفل وتعريضه للإيذاء البدني، ويتمترس البعض خلف نصوص دينية يساء تأويلها لممارسة اعتداء ممنهج على الصغار، وتحويل أدوات، كالأحذية والأحزمة الجلدية، لوسيلة عقابية يتم إشهارها مع أي سلوك حتى لو لم يكن مناسباً للمرحلة العمرية.



محمد عبدالهادي
كاتب مصري

بين بعضها اعترافات أولياء الأمور أنهم أرادوا تقويم سلوكهم، ولم يقصدوا أن تصل الأمور إلى حد الضرب المؤذي. ونقلت طفلة تدعى هبة (8 سنوات) من إحدى قرى دمياط بمصر إلى مستشفى تخصصي مؤخرًا، بعد تعرضها للتعذيب على مدار شهرين على يد والدها وزوجته الجديدة، لإجبارها على أعمال منزلية شاقة تغتال طفولتها، حتى تمكنت من الهرب إلى منزل جدتها.

ولا تزال هبة، التي بدأت آثار الكدمات المتناثرة أسفل أعينها والندوب على معصمها في الاختفاء، تعاني من شروخ نفسية، رغم انتقالها للعيش بصحبة جدتها، وتخشئ التعامل مع الغرباء، ولديها قوبيا من المكواة والأشياء الساخنة، بعدما ظلت لأشهر تتعرض للضرب والحرق بسكين ساخن وكسر مضاعف في 4 أضلاع.

أكدت أمل جودة، مديرة في مجال دعم وحماية حقوق الطفل بمصر، أن ضرب الصغار دارج في ثقافة المجتمع كإحدى عناصر التربية، فالأبوان يستخدمانه في المنازل ويطالبان المعلمين بتكراره مع صغارهم حال عدم أدائهم فروضهم المدرسية أو ضعف تركيزهم.

وأضافت، لـ"العرب"، أن مواجهة الاعتداءات البدنية إزاء الأطفال تحتاج إلى حملة توعوية من المجلس القومي للطفولة والأمومة (حكومي)، الذي خاض حملات ناجحة إزاء التنمر ضد الأطفال والختان وتنظيم الأسرة، وتعريف الأطفال بكيفية التحرك إذا تعرضوا للتعذيب والجهات التي يمكن أن يلجأوا إليها.

ويتم التضحية بالأطفال أحيانًا في العلاقات غير المشروعة ليدفعوا الثمن مرتين إما بمشاهدتهم ممارسات غير مفهومة تقتل براءتهم مبكرًا وإما خلق شبكة من الرعب داخلهم لمنعهم من الحديث عنها مثلما حدث مع محمد عبدالله (4 سنوات ونصف) من إحدى قرى مدينة ميت غمر بدمياط مصر الذي رأى شقيقته ووالدته في أوضاع مخلة لأزواجه.

ندوب نفسية لا يفيد معها التدخل المتأخر للمسؤولين

مشابهة، ولفت مهران، لـ"العرب"، إلى أن القوانين تعطي الأم والأب الحق في التأديب، لكن لها ضوابط إلا تصل درجة استخدام القوة إلى مستوى الجريمة والعنف والخروج من دائرة المباح، وأن يتضمن جسد الطفل علامات وإصابات أو عاهات مستديمة أو أن يتعرض لتعمد إهانته وتصويره في مشاهد مؤذية.

وترتبط وقائع تعذيب الأطفال غالبًا بالقرى أكثر من المدن، فشبكة معرفة الأهالي ببعض البعض تحول دون أن يقدم أي منهم على إبلاغ الشرطة تحاشياً للصدام بين العائلات.

وكان الاستثناء الوحيد في طفلة تعرضت للتعذيب بمحافظة البحيرة في شمال القاهرة، على يد خالتها التي دأبت على حبسها في دورة المياه عقب تجريبها من ملابسها وقص شعرها وحرقها، وتدخل الأهالي واقتحموا

رغبت في التخلّص منهم، ولم يعرف جدّ الطفل محمود حماد (5 سنوات)، الذي تعرّض للتعذيب بإحدى قرى القليوبية المتاخمة للقاهرة، بوجود خط ساخن يمكنه الاتصال به لمساعدة حفيده الذي عرف من شقيقه بتعرضه للتعذيب من قبل والدته وزوجها، وظل حائرًا حتى تلقى اتصالاً من مستشفى يعلمه بوصول محمود في حالة إعياء كامل بعد تعرّضه للضرب المبرح.

وأوضح أحمد مهران، الخبير القانوني، أن القوانين المصرية تضع شبكة حماية للأطفال وتبدأ العقاب من مجرد تعريضهم للخطر لكن تظل الإشكالية في التطبيق والتفعيل الذي يحقق الردع، والجرائم يتم معرفتها بالصدفة أو حال تفاقم الأمر ووصول الضحية إلى أقسام الشرطة، وبالتالي لا تتوفر الحماية لكل الأطفال الذين يتعرضون لتصرفات

وظل الطفل يتعرّض للتعذيب لعدة أشهر قبل أن يهدد بإخبار والده عامل النظافة البسيط ليتعرّض لطعنة نافذة في البطن استوجب نقله إلى مستشفى حكومي على مشارف الاحتضار، وبعد عشرة أيام من الاحتجاز في غرفة العناية المركزة استعاد وعيه ليكشف ملبسات الواقعة، ويتوقف بعدها عن الحديث لمدة شهر كامل مصاباً بأزمة نفسية.

ويشكو الناشطون في حقوق الطفل بمصر من أن تغيير الحضانة لمن تعرّض للتعذيب من أسرته وإحاقه بجمعيات أهلية لا يحول دون تكرار الأمر مجددًا، فالكثير من دور الرعاية لا تملك موظفين أكفاء يتعاون مع حاجات الأطفال، ولا يستقبلون إلا الأيتام فقط لجذبهم شبكة المتبرعين، وحتى حال استضافتهم يتعرضون للعقاب البدني والمعايرة بأنهم كانوا منبوذين من أسرهم التي

الطفل الذي يتعرض للإيذاء البدني الشديد يبحث عن الأب البديل أو الأم البديلة في شبكة العلاقات المحيطة به

وتعتبر مأساة الطفلين تجسيدا لسلوكيات متفشية في العديد من الأسر، لأسباب تتراوح بين الرعونة في تطبيق القوانين التي تحمي حقوق الأطفال في نطاق أسرهم، أو تسرّب المجتمع عليهم في نظرة تعتبرهم ممتلكات خاصة يمكن التعامل معهم وفقا للأهواء.

وتشهد أقسام شرطة ومستشفيات مصرية وقائع متكررة لأطفال تعرضوا للتعذيب على صعيد أسري، ويصل الأمر أحياناً إلى درجة الوفاة جراء الضرب والإهمال، وكان الرابط المشترك الوحيد

موضة

البوت المخملي لإطلالة شتوية فخمة



يكتسي البوت هذا الشتاء بالمخمل ليمنح المرأة إطلالة دافئة ووثيرة تنطق بالفخامة.

وأوضح خبير الموضة الألماني جيرد مولر تومكينس أن المخمل يكسو هذا الموسم البوت ذا الأريطة وبوت الكاحل بصفة خاصة، سواء كان البوت ذا مقدمة مدببة أو مستديرة أو ذا كعب عال أو كعب ضخم.

وأضاف تومكينس أن البوت المخملي يطل هذا الشتاء بالوان زاهية

والاحتواء، بما يقدمه من تضحيات من أجل أسرهن.

خلف كل جدار كناية أم، قصص مضحكات، مبيكات، حقائق في تفاصيلها، شجن تعجز عن وصفه كل حكايات الدراما والخيال.

ذكرتني دموع عبير التي تنمّر عليها العالم وجرحت مشاعرها ابنتها المرهقة، بحكاية ماري، فلم تكن ماري أن يفان، الفائزة بجائزة أقيح امرأة في العالم بالمملكة المتحدة في القرن الثامن عشر، امرأة جميلة شكلا، ولكن روحها وإنسانيتها تغلبت على مظهرها الخارجي.

مجرد ممرضة شابة جميلة بإحدى مستشفيات بريطانيا، تشابه قصتها مع كثيرات، تزوجت وأنجبت أربعة أطفال، وحين بلغت عامها الثاني والثلاثين أصيبت بمرض العملاقة وضخامة الأطراف، متلازمة تنتج عن زيادة إفراز هرمون النمو (GH) من قبل الغدة الأمامية للغدة النخامية، تغير ملامح الوجه كلياً وتبدأ الأطراف في التضخم والتشوّه الكلي، مع ضعف حاد في البصر، وآلام شديدة القسوة في العضلات والمفاصل.

وبعد فوزها بالجائزة الساحقة لكرامتها وإنسانيتها عرض عليها السيرك العمل في مهنة بهلوان يضحك الجمهور، تقام بجسد مليء بالجروح والإلتقابات الحادة لإطعام صغارها.

يسمع أبنائها بكاءها عندما تحضر الخبز وهم جياع، تنكي طوال الليل، وتقول أشعر إنني لا أستحق أن أكون أما صالحا، هل يجب أن أكون جميلة حتى يحترموني.

الإباء جميعهم متشابهون وكذلك الأمهات في عطائهم الإنساني، وتوزيع مشاعر الحب والحنان على أبنائهم فيقدر استناعتهم يعطون ويهبون.

أمي الدميمة أجمل نساء العالم

قصت بيتي أكثر من مرة لأحضر لها دواء لم تفلح في العثور عليه، كنت أحاول توفيره عن طريق مخازن وزارة الصحة، أو بعض الأصدقاء المسافرين خارج حدود الوطن، معاناة عصبية على التحمل.

لسنا جميعا في القدرة على التحمل سواء، ما تتحملة أنت برحابة صدر وأريحية مع قدر من الأذى النفسي ممكن ومقبول، لا أستطيع أنا الصبر عليه ولا تقبله، وقد أراه نهاية العالم، المسكينة تعرّضت لهجمات شرسة من التنمر عليها وعلى شكلها، الجميع لا يرحم ضعفت ولا مرضها، لكنها تحمّل العالم من أجل أبنائها.

تثور ابنتها عليها بين الحين والآخر متاففة من ذهابها لاصطحابها من المدرسة، ففي طريق العودة لا تتحمل الابنة نظرات زملائها ولا تعليقاتهم السلبية المحيطة تجاه الأم، تدرت بقطعة قماش سوداء تخفي كل ملامحها وترجمها من نظرات التلصص، باتت تعيش الحياة من وراء حجاب، تتعامل مع البشر بساتر يخفيها عنهم، بعد أن فشلت أكوام المساحيق في إصلاح ما أفسده المرض.

لا أراها امرأة مريضة، ولا جثة مشوهة كما تقول لها ابنتها المرهقة.

هي في نظري منحوتة إنسانية شديدة الروعة والجمال، كينونة شديدة الخصوصية، امرأة تشرق بقلبها دائما وتمنح من حولها بعضا من روحها، تعطي عبيرا مجانيا فاح شذاه على الجميع، تنثر حيوية وجمالا على جميع من حولها.

أمك الدميمة قدرا، المريضة قدرا، الفقيرة غصبا، هي امرأة رائعة أعطتك ما لم تعطه غيرها، الأمهات لسن صالحات بجمالهن وبهائهن وأنوثتهن، ولكن بمدى قدرتهن على العطاء والحب يقدمنه من تضحيات

حالتها المرعبة بدأت في التزايد منذ كانت طفلتها في المدرسة الابتدائية وهي التي تقوم بإبصالها يوميا ولا مفر من ذلك، تتحامل على نفسها رغم الآلام المبرحة، تذهب بطفولتها صابحا وتعود بها في آخر النهار بعد يوم عمل شاق، لكن هذا المجهود المبالغ فيه والذي يحملها جهدا فوق طاقتها لم يدم طويلا، طردت من عملها بعد تأثير المرض على ملامحها، وتغيّر شكل الجسد بطريقة مرعبة.

باتت تعليقات زملاء العمل الهامسة ونظرات السخرية والشفقة ترهقها أكثر مما يرهق المرض جسدها وينال من روحها، انزوت على نفسها أكثر وطالت فترات بقائها وحيدة بالمنزل، هجرها الزوج لأخرى مكتملة الأنوثة والجسد والأطراف!

لم يبق لها سوى أبنائها ودخل هزيل من ميراث الكاد يفي باحتياجاتها واحتياجات أسرته الضرورية، وثمن بعض أدوية تحاصر المرض.



رابعة الختام
كاتبة مصرية

مساء الشتاء البارد وزخات المطر اللذيذ التي تداعب وجوه الصبايا، وتحمل معها الخير والنماء لا تمثل لها ما تمثله لغيرها، فهي عدوة الشتاء، تعرض فيه، تنزوي، تتاكل من الداخل والخارج.

تزهز الأشجار وتتلون الورود بالوانها البديعة، ويذف الشجر ثماره معلنا بداية فصل الخير، بينما تتواري عبير التي لم تعد تحمل من اسمها غير احرف باهتة في بطاقة الهوية عن الأعين المتربصة بالجدس الناحل، المتتمرة للمرأة التي فقدت وزنها ونضارتها وباتت قريسة للألام والألم، تنجح في التخفي عن أعينهم، لكنها حتما تفشل في الاختباء من المرض متسارع الخطى، لا تستطيع أن تغيب عنه.

نوبات المرض وما يسمى بهجمات الشتاء المحيطة تفاجئها في أوقات متفرقة، وعلى فترات متقاربة، تهاجم جسدها الأخذ في الشحول والتلاشي، فتحل مساحات شاسعة من الجسد الضامر بعد ندوة وجمال غصن كانت تحسدها عليه كثيرات.

جارتى الأريجنية الطيبة، الخجولة، أصيبت بمرض نادر، لا يعرف كُنْه، ولا أسبابه، مرض احترق فيه الأطباء، وعجزت العقاقير الكثيرة المبتلعة بالفم والمحقونة لتسري في دماها مباشرة، والمدهونة عن التعامل معه وإيقاف زحفه، فقط مجرد محاولات بائسة للسيطرة عليه وتحديد إقامته في ما هاجم من أجزاء الجسد، وحتى لا يتخطى حدوده زاحفا إلى باقي الأجهزة، عابرا خلاياها وشرابيتها.

أمك الدميمة قدرا، المريضة قدرا، الفقيرة غصبا، هي امرأة رائعة أعطتك ما لم تعطه غيرها، الأمهات لسن صالحات بجمالهن وبهائهن وأنوثتهن، ولكن بمدى قدرتهن على العطاء والحب يقدمنه من تضحيات